طفل في العيادة النفسية

هل الطفل الصغير معرض للاضطرابات النفسية مثل الكبار ؟

نرد فنقول : نعم ..

فالطفل الصغير معرض لمعظم الاضطرابات النفسية والعقلية والسلوكية التي قد تصيب الكبار .

ولكن في بعض الأحيان يختلط على الأسرة الأمر :

هل هي شقاوة أو مرض ؟
هل هو اضطراب أم قلة أدب ؟
هل هي مضاعفات أم مجرد « عفرتة » أولاد ؟

وهكذا يمكن أن يكون هناك مرض ما يحتاج فيه الطفل إلى رعاية الطبيب النفسي هنا يتجه العلاج نحو الطفل ، وكل من يعيشون معه وكل من يتعاملون معه مباشرة . وعادة يضع الطبيب النفسي في الاعتبار هذه الحادثات التي تدور مع الطفل عندما يكون عمره أكثر من ستة أعوام

أما قبل هذا العمر فإن هناك أكثر من طريق إلى حقيقة الحالة .

ولنبدأ في تقديم نماذج للأطفال العصبيين في صورة شكوى الأمهات .

*** الفشل في الدراسة :**

هنا نجد الأم في حيرة حتى أنها قد تبكي فهي لا تعرف ماذا أصاب ابنتها الصغيرة أو ابنها .

لقد كانت مجتهدة ثم فجأة أصبح ترتيبها « الأخيرة » .

إن أشياء عجيبة تحدث ويعلو صوت الأم معاتبة وهي تراجع مع ابنتها الواجب

وخصوصاً الحساب فنجد أن أي سؤال تسأله لبنتها أو ابنها ترد بدون تفكير فتشعر الأم بذلك فتضربها حتى تفكر .

في مثل هذه الحالات يبدأ الطبيب النفسي عمله بفحص الطفل حتى يتأكد من سلامة أعضاء جسمه .

وكذلك يتأكد من عدم وجود تخلف عقلي عند الطفل .

ولكن من السهل التأكد من عدم وجود التخلف العقلي إذا وجد الطبيب أن الطفل كان متفوقاً قبل ذلك في دراسته ثم ظهرت عليه هذه الأعراض التي تصفها الأم وتقول ابني أصبح بليداً .

هنا يجد الطبيب النفسي أنه أمام حالة محددة :

طفل ذكي ... ولكن يجد صعوبة في التعلم .

ولكننا عندما نستعرض ما قالته الأم نجد أن الطفل يعاني من تشتت في الانتباه وصعوبة في التركيز .

وغالباً ما يكون سبب ذلك حالة من القلق النفسي الذي أدت إلى حدوثه ظروف معينة .

- فقد يتشاجر الأب مع الأم أمام الأطفال بصفة مستمرة .

- قد يحس الأولاد بالفزع عند رؤية الأم وهي تجمع ملابسها وتريد مغادرة البيت .

- وقد يبلغ القلق مداه عند رؤية الأب وهو يضرب الأم « علقة » بعد مشاجرة عنيفة .

- أو يكون الطفل في حالة حزن دائم وهو يسمع ثناء ومديح الكل لأخيه الأكبر أو يتكرر على سمعه هذه المقارنات بين ذكاء أخيه وعدم قدرته هو على المذاكرة .

وهنا أنصح دائماً بعمل نوع من الابتعاد في مجال الدراسة - بين الأخوة إذا كانت هناك فروق ما بينهما وبذلك تقلل من حدة الصراع وحدة المقارنة المؤلمة .

نعود إلى الأسباب التي تؤدي إلى حدوث مثل هذه الشكوى التي بدأ الحديث بها؛ففي بعض الحالات نجد الطفل يخاف من مدرس الحساب مثلاً ، وهكذا يكره حصة الحساب ومادة الحساب .

ومن الطبيعي أن يفشل بعد ذلك في عمل أبسط عمليات الحساب ...

كذلك في بعض الأحيان نجد أن الطفل معقد من الذهاب إلى المدرسة فهناك من يسخر منه لأي سبب بل هناك من يضربه .

وكلنا يذكر هذه المجموعات من الأطفال التي تكون ما يشبه العصابة وتبدأ في مشاكسة كل من يخرج عن طاعتها .

وهذه أمور يجب متابعتها وحماية الطفل منها عن طريق للمشرف الاجتماعي أو الناظر والمدرسين .

وأخيراً نصل إلى هذا الاحتمال الذي قد يكون السبب الحقيقي في التخلف الدراسي للطفل هو حدوث نقص في المواد الأساسية اللازمة للتركيز والانتباه في الجهاز العصبي في الطفل .

والآن يلح هذا السؤال :

ماذا يمكن أن يفعل الوالدان خاصة الأم عندما تواجههما مشكلة طفل متخلف في دراسته ؟

والرد هنا :

إنه يجب عليهما بحث حالته وحالتيهما وعلى ضوء ما سبق أن ذكرت يمكن العثور على السبب وتلافي هذه الظروف التي تؤدي إلى حرمان الطفل من التفوق في دراسته ...

وهنا قد تنجح المحاولة ويعود الطفل إلى نشاطه الدراسي السابق .

أو يكون الاحتمال الآخر ... عدم نجاح المحاولة واستمرار الطفل في فشله يكون هذا ناتج من :

● الفشل في معرفة السبب الحقيقي لتأخر الطفل الدراسي .

● أو عدم اتخاذ القرارات الملائمة والصحيحة لتوجيه الطفل إلى الطريق السليم .

● أو الاحتمال الثالث هو وجود اضطراب في الجهاز العصبي .

ومن الطبيعي أن يفشل الوالدان في اكتشاف وجود مثل هذه الحالة .

إذا وجد الوالدان أنهما أمام أحد هذه الاحتمالات الثلاثة فالمفروض هنا أن تتجه الأنظار نحو الطبيب النفسي حيث يمكن مساعدة الوالدين على اتخاذ القرارات المناسبة لإنقاذ الطفل من عثله الدراسي .

ومن الضروري على الوالدين تسجيل أدق الملاحظات على تصرفات الابن ـ مهما كانت تافهة ـ لأن هذه الملاحظات تساعد الطبيب المعالج على تشخيص الحالة وإعطاء العلاج المناسب .

يضرب زملاءه :

تشكو الأم أن ابنها يعتدي بالضرب على كل زملائه في المدرسة إنه يكسر أي لعبة تصل إلى يديه . يخنق القطة ... يقتل العصفور ... يعض من يلعب معه ثم يجري هارباً ...

إنه كثير الحركة مشتت الانتباه ولكن الشيء الثابت في كل تصرفاته هو العدوان الملائم ! .

الواقع أن هذا التصرف قد يكون نوعاً من الاحتجاج !

فالطفل يجد أن كل الاهتمام والرعاية والحب والحنان كل هذه الأشياء بعد أن كانت من حقه وحده انتقلت إلى أخ جديد ولد حديثاً .

وهكذا اختفى هو من الصورة بعد أن أحاطت العيون المولود الجديد تداعبه وتهتم به ! ويكون العلاج هنا هو :

إعطاء الطفل حقه من الرعاية والاهتمام وهكذا يعود إلى سابق عهده .

صورة أخرى قد يكون الطفل عدوانياً لأنه يحقد كل من حوله في البيت يتصرفون بهذه الطريقة .

فالأب يتشاقش مع الأم ثم يقذف بأي شيء بيده ، وكذلك الأم تتشاجر مع الأب وتكسر الأطباق !

وهكذا ليس غريباً أن يكتسب الطفل عاداته من تصرفات أهله .

وقد أثبتت البحوث أن رؤية الطفل للتمثيليات في التليفزيون التي يتخللها ضرب وعنف يكون لها تأثير سلبي على الطفل الذي يبدو لفترة ليست قصيرة بعد انفعاله من مشاهدة التمثيلية .

وليس غريباً أن يكون تأثير الأهل له تأثيره الشديد فالتمثيلية هنا مستمرة !

هذا كله يحتاج منا أن نكون على وعي بأن هذه التصرفات العدوانية ناتجة عن حالات مرضية تكون مصحوبة بتشنجات وقد يكون العلاج عند الطبيب النفسي .

ب - يؤلف قصصاً وهمية :

ليس غريباً على الطفل أن يؤلف قصصاً وهمية عن بطولته ، ولكن في الحدود المعقولة: إنه في البيت يعتبر محور الأسرة يأمر فيطاع كالملك ... الكل يتحركون بأمره لكنه يذهب إلى المدرسة فيضيع في الزحام ليسمع الأوامر وينفذها ليهرب من ضرب معلمه وسلطته وعنفهم .

وهكذا نراه هنا في المدرسة لا ينال كل ما يطلبه لكنه لما يعود إلى البيت مملكته يبدأ في الحديث عن بطولاته الوهمية ، وكلما زادت هذه القصص الوهمية كان ذلك دليلاً على إحساس الطفل بأنه أقل من غيره !

وواجب الأم هنا هو الاستماع إلى هذه القصص جيداً ومحاولة معرفة هذه الخطوط التي توضح نقطة الضعف عند ابنهم ، ثم يبدأ دور الأهل في إرشاد الطفل إلى أن هناك اختلافاً دائماً بين الناس وبعضهم البعض .

وليس معقولاً أن يكون الكل على نفس المستوى في كل شيء .

ولكن لا يعني ذلك أن تقتل الطموح عند طفلك فالطموح مطلوب دائماً ولكن بلا وجود لهذا الصراع المدمر للطفل .

أما إذا فشل الآباء في علاج هذه الحالة التي يكون فيها الطفل بطلاً دائماً لروايات أسطورية مبالغ فيها ... فالعلاج يكون بمساعدة الطبيب النفساني .

* **يسرق أي شيء :**

السرقة عند الأطفال قد تكون بسبب حب تملك شيء ما ينقص الطفل . لقد طلب من والده قلم رصاص ورفض والده شراءه ولم يجد أمامه إلا أن يسرق من زميل !

إنه هنا يشعر بالنقص ويحاول أن يعوضه .

من الخطأ هنا إهانة الطفل وليس من العقل أن تصرخ الأم في وجهه وتقول ياحرامي !

بل من الأفضل الدخول معه في حوار هادىء يفهم من خلاله أنه أخطأ لأنه سرق ، وأنه ليس من الضروري أن يكون معه كل شيء مع زميله لأن الناس يختلفون فيما يملكون .

وتبدأ النصيحة بأن يعرف الطفل أن السرقة تغضب الله ، وأن الله سبحانه وتعالىٰ هو الذي يعطي الناس كل شيء .

وأنه من غير المعقول أن يعطي الله الشخص الذي يسرق ... ويغضبه .

وأما النوع الآخر من السرقة فيكون بغرض الانتقام !

فالطفل يسرق أشياء يمتلكها طفل آخر ليقطعها ... أو يلقيها في مكان مجهول ...

وواضح أن ذلك تصرف فيه الانتقام نتيجة للإحساس بالغيرة .

وعلى هذا يبدأ العلاج بأن يعرف الطفل أنه لا معنى لإحساسه بالغيرة وأنه شخصياً قد يكون أفضل من هذا الطفل الذي يغير منه .

وهكذا إذا نجح الأهل في تصفية شحنة الغيرة من نفسية الطفل كان ذلك بداية

لانصرافه عن عمليات الانتقام التي يقوم بها ، ومن بينها السرقة .

* يصرخ أثناء النوم :

ومتاعب النوم أنواع فهناك الطفل الذي يتقلب طول الليل في فراشه ... بل إنه في بعض الأحيان يقوم صارخاً مرة ... واثنين ... وثلاث !

وفي بعض الحالات يمكن أن نرى صورة أخرى ... فالطفل الصغير يصاب بما نسميه الفزع الليلي . حيث نجد أنه يعاني من نوبات الصراخ والخوف مع العرق الغزير ... وتحاول الأم تهدئته ... ولكن لا فائدة ...

وفي الصباح تحاول الأم أن تناقش طفلها فيما حدث له ليلاً فتجد أنه لا يتذكر شيئاً مما حدث ...

على عكس الحال عندما يحدث الكابوس ... حيث نجد أن الطفل يظل متذكراً لما حدث بل يحكيه للآخرين !

وحدوث هذه الاضطرابات في النوم له معنى واحد :

الطفل خائف ... وقلق ..

ولكن لماذا القلق والخوف ؟

الواقع أن هناك أسباباً متعددة يمكن أن ترعبه وتسبب له كل هذه المتاعب أثناء الليل .

- خناقات الأب والأم العنيفة أمام الطفل .
- الحكايات المزعجة التي يسمعها الطفل قبل النوم .
- متابعة أحداث مزعجة على شاشة التليفزيون قبل أن ينام .
- الإرهاب الذي تحيطه به الأم بأن تهدده بأي شيء ليخضع ويهدأ وينفذ طلباتها .

كل هذه العوامل وغيرها يمكن أن تسبب للطفل هذه المتاعب أثناء النوم .

وذلك عندما نفكر في علاج لاضطرابات النوم لا يجب أن يتجه تفكيرنا أساساً إلى الدواء والمهدئات ولكن يجب أولا أن نبحث عن العوامل التي تؤدي إلى حدوث هذه الاضطرابات ...

بحيث نحيط الطفل بالهدوء ونخلصه منها فيعود إلى نومه الهادىء المريح له ... ولأهله .

* يأكل بعد مجهود كبير :

ألا يأكل الطفل فهذا شيء خطير بالنسبة للأم ... إنه كارثة في نظرها ! والأم على استعداد أن تفعل أي شيء حتى يتنازل الإمبراطور الصغير ويفتح فمه ليأكل .

وقد تغضب الأم على الطفل وتجبره على الأكل فتكون النتيجة هي القيء .

ولكن في الحقيقة هنا نجد أن الطفل سليم والحالة لا تزيد على أنها احتجاج شديد من الجهاز الهضمي .

وأنا أقول لكل أم لا يجب إجبار الطفل على تناول الطعام ... اتركيه حتى يطلب هو الأكل إنه لن يظل جائعاً حتى الموت .

وعندما يعصره الجوع سيبحث عن الطعام ويأكله بشراهة .

واعلمي أيضاً أنه لن يموت من عدم الأكل ولكن من المحتمل والممكن أن يصاب بأكثر من مرض إذا كان هناك إصرار على أن يأكل .

* التبول في الفراش :

صحيح أنها مشكلة ولكن لا يبحث الأهل دائماً عن علاج لها . والأم تحزن ولكنها تقول قريباً يكبر في العمر ... وتختفي هذه المشكلة ... مشكلة التبول في الفراش أثناء النوم .

وصحيح أن حوالي ٨٠ ٪ من هذه الحالات تشفى تلقائياً بمرور الوقت .... ولكن الأهم من ذلك هذا العذاب النفسي ... والأثر البالغ الذي تسببه هذه الحالة ...

إن وجود حالة التبول الليلي معناه : عذاب نفسي ... وعدم القدرة على البقاء ليلاً في أي بيت غير بيت الأسرة ... فقدان الثقة في النفس ثم هذا التدهور النفسي الذي يصاحبه تدهور في كل جوانب الحياة ومن بينها التدهور الدراسي !

والمعروف أن من المفروض أن يتم التحكم في التبول في حدود الأعوام الثلاثة الأولى من العمر . ولكن يحدث التبول الليلي عند بعض الأطفال و تر عدة سنوات .. والسبب هنا قد يكون عضوياً . . أو وراثياً ...

ولكنه في أغلب الأحوال يكون نتيجة لحالة نفسية !

فالقلق . . ووجود صراع وتنافس بين الأخوة قد يؤدي إلى ذلك . .

والعلاج بالدواء هنا يعطي نتيجة أكيدة ... والمهم عدم ترك الطفل بهذه الحالة ... لأنها تمثل خطورة على حياته النفسية ... وهكذا قد تختفي حالة التبول الليلي ولكن الذي يبقى هذا التشوه الذي حدث في نفسية الطفل .

*** ينطق بصعوبة :**

ظاهرة غريبة ... الطفل لا يعرف الكلام أمام الناس . . إنه يتلعثم كثيراً ومن عندما يكون وحده فإنه يحدث نفسه ... بطلاقة ...

عندما تقول الأم ذلك فإنها يجب أن تعرف أنها أمام حالة نفسية : .. قلق . ويزيد من حدة القلق انطواء الطفل وخوفه من مقابلة الغرباء ... مما يزيد من حدة الحالة وبالتالي تزيد درجة التلعثم ...

والآن ماذا يجب أن تفعل مع طفل يتلعثم ؟!

إذا حدث ذلك بدرجة بسيطة فلا داعي لسحب الطفل إلى خطوات العلاج الطبي المتخصص يكفي أن تعيد الأم الثقة إلى الطفل ولا تحاول عقابه ثم لا يجب أن يسخر منه أحد لأنه لا يعرف كيف يجب أن يتكلم .

وفي نفس الوقت لا يجب مساندة الطفل عندما ينطق ...

بمعنى أنه من الضروري الانتظار حتى يكمل هو بنفسه الكلمة ... بلا مساعدة من الآخرين الذين يتولون نطق بقية الكلمة التي يبدأ هو بنطقها ويكتفي بنطق حرف أو حرفين منها !!

أما إذا كانت درجة التلعثم شديدة فمن الضروري علاجه عند طبيب متخصص حيث إنه من النادر أن تشفى هذا الحالة تلقائيا ...

وترك الطفل بدون علاج يمكن أن يؤدي إلى متاعب نفسية شديدة تزيد من حدة الحالة وتعقد من حالته النفسية ...

٤ ـ الهرب من المدرسة :

٤ ـ تشكي الأم أن ابنها يهرب من المدرسة .

ويجد الأب ضربه والأم تصرخ في وجهه وتهدده . ومع ذلك فهو لا يريد أن ينتظم في دراسته يريد أن يهرب دائماً من المدرسة ...

٤ ـ مثل هذه الحالة عند الباحث أكثر من سبب يمكن ان يؤدي إلى هروب الطالب من المدرسة .

ـ قد يشعر بأنه أقل من زملائه إنه ينقص عنهم في أشياء كثيرة

وهكذا فليس غريباً أن يهرب من مجتمع يشعر أنه ناقص فيه .

ـ ومن المحتمل أن يكون هناك مدرس يعاقبه دائماً ...

وهكذا يهرب من المدرسة حتى لا يلتقي بهذا المدرس المتعب !!

ـ وهناك المدارس التي ترهق الأطفال الصغار بالمقررات الضخمة والواجبات المدرسية المتعددة ...

وهنا لا يجد الطفل الصغير إلا الهروب كوسيلة للراحة .

ـ قد يكون في تصرفات الطفل ما يجعله محل سخرية من زملائه ... إن هذه السخرية تؤلمه .

ولذلك يهرب منها بعدم الذهاب أصلاً إلى المدرسة ففي البيت لا يشعر بالألم لأن الكل يحبونه ولا يسخرون منه .

ـ الاحتمال الأخير هو وجود جو من الفوضى وعدم الاستقرار في المنزل وهذا بالطبع يدفع الطفل إلى عدم الانضباط والانتظام في الدراسة . وهذا غالباً لا يزعج أحداً في هذا البيت الذي يعيش على الفوضى .

في كل الحالات السابقه يمكن علاج الموقف بإيجاد جو مناسب في حياة الطفل يدفعه إلى الذهاب إلى المدرسة ...

ولكن إذا كانت كل الأمور السابقة ميسرة أمام الطفل ... فهناك احتمال أن يكون الطفل مصاباً بحالة مرضية تحتاج إلى طبيب نفساني ليعالجه ويعود إلى مدرسته دون ان يفكر في الهرب منها .

* يخاف دائماً :

شكوى تتردد بين الأمهات : ابني يخاف دائماً !!

إنه يخاف القطط مع أن كل الأطفال يحبون اللعب بالقطط !!

هنا من الخطأ أن نعاقبه .. أو ندفعه إلى الإمساك بالقطة .. أو حتى نغريه بالجلوس حتى يلعب بالقطة التي يخاف منها ..

لأن النتيجة ستكون تأكيد الخوف في نفسه !

وصحيح أن الخوف شيء غريزي عند كل إنسان ولكن غير الطبيعي هو ما إذا تجاوز هذا الخوف الحدود !

والخوف الزائد علامة على وجود مرض نفسي وخطورة الخوف تكون في تأثيره الواضح على حياة الطفل الذي لا يكاد يتحرك لأنه خائف دائماً ومن لا شيء !

والواقع أن الطفل يعبر عن قلقه واكتئابه بهذا الخوف الزائد .

وهنا على الطبيب النفسي أن يحل رموز هذا الخوف المجهول المعنى ...

فالخوف عادة يكون حماية وتعبيراً عن مخاوف داخلية في نفسية الفرد ... ويرمز إليها بهذه المخاوف الخارجية ... وأحياناً تكون هذه المخاوف أعراضاً ثانوية لأمراض نفسية مثل الاكتئاب ... في مثل هذه الحالة يمكن علاج الخوف بالدواء .

* لا يحب الاختلاط :

عادة ينطوي الطفل عندما يحس أنه أقل من الآخرين ... وعلى هذا يخفي نقصه ويبتعد عن كل "الناس" .

وقد يكون هذا الانطواء - أحياناً - وراثياً !!

والنصيحة هنا هي تشجيع الطفل على الاختلاط .. ولا يجب الانتظار حتى يكبر ثم يطلب منه الاختلاط بالأطفال ... بل يجب أن نشجعه من ذلك وقتاً ولا مانع من اعطاء الصغير قليلاً من الحلوى يتلطف بها على من يختلط به ويخرجوه من ذلك الخاص .

وأحياناً يكون الانطواء بسبب وجود مرض نفسي .. فالاكتئاب الناتج من الحرمان العاطفي يمكن أن يؤدي إلى الانطواء ..

كذلك قد يكون "الانطواء" بسبب أعراض عضوية يمكن علاجها دوائياً وعند الطبيب المختص بعلاج المناسب مثل هذه الحالة .

● نصيحة أخيرة :

هناك نصح الأم في معاملة أبنائها لا تقع في الخطأ الشائع الذي يكون أساساً في ترتيب الأبناء في الأسرة .

إن الطفل الأول قد يمنح الكثير من المزايا بحيث يشعر أنه متفضل على غيره من الأخوة والأخوات وهذا يجعله يشعر بالسعادة إذ يجد دائماً كل شيء سهلاً وميسراً ، ومن ثم يتصور كل شيء في الحياة بهذه السهولة واليسر وقد يحدث العكس أيضاً ... إذ يحرم الطفل الأكبر من المزايا التي حصل عليها وهو أصغر سناً بدعوى أنه قد كبر وإن هذا أفضل لأخوته الأصغر منه . كما قد يحمل مسئوليات مضاعفة تجاه أخوته والأسرة بصفة عامة وهنا تسوء نفسيته ويشعر بالقلق ومن ثم بالعصبية .

أما الطفل الأصغر فقد يحابى على أساس أنه أقل الجميع حولاً وهذا يفسده أيضاً ..

أو قد يحدث العكس بالنسبة له إذ يشعر بأنه مظلوم مغبون الحقوق ومن ثم ينطوي ويقلق ويشعر بالعصبية لأنه يعيش في مجتمع الكبار .

وأما الطفل الأوسط فقد يجد نفسه حائراً بين هذا وذاك وقد يهمل من جانب الوالدين لأنه جاء إلى الحياة بعد أن أشبعت رغبة كل منهما في وجود طفل يملأ حياتهما .

ومن هنا أيضاً يشعر بهذا الإهمال فتستاء نفسه ويصاب بالانطواء والعصبية .

لذلك كله فإن أسلوب التربية من الممكن إذا كان غير سليم وغير واعٍ فإنه يؤدي إلى إصابة الطفل بهذا الداء .

ألا وهو : العصبية .

☆ ☆ ☆